



طريقنا إلى الحضارة

الإمام الراجل آية الله العظمى السيد محمد الحسين الشيرازي



هيئة الأيد العليا

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله
الطاهرين ولعنة الله على أعدائهم أجمعين

الطبعة الأولى

١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ هـ



هيئة اليد العليا

هيئة إسلامية ثقافية فكرية هدفها خلق مجتمع خاضع لآل محمد عليهم
السلام وفق رسالتهم.

مكتب الكويت

Upperhandorg@gmail.com – www.uhorg.net

طريقنا إلى الحضارة

الإمام الراحل آية الله العظمى السيّد محمد الحسيني
الشيرازي - قدس سره -

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد
وآله الطاهرين.

هناك سؤال يجول في الأذهان، وي طرح نفسه بقوة ليقول:
كيف تقلصت الحضارة الإسلامية العملاقة، وانزوت
عن الساحة المعاصرة؟

ثم إنه ما هو العلاج لإرجاعها وإعادتها إلى الحياة؟
وهذا الكتاب تلميح إلى بعض طرقه.. نسأل الله سبحانه
أن ينفع به إنه ولي ذلك.

قم المقدسة

محمد الشيرازي

من أسباب التخلف

■ عدم الاهتمام بالعلم

من أهم أسباب تقلص حضارتنا أننا أصبحنا اليوم بحيث لا نهتم بالعلم والتعمق، والعمل والمثابرة، بينما الأجانب أخذوا يعملون بكلا الشئيين، مضافاً إلى السبب الرئيسي في ذلك وهو؛ أننا تركنا ما أمرنا به رسول الله صلى الله عليه وآله من التمسك به، حيث قال صلى الله عليه وآله: «إني تارك فيكم الثقلين - أو خليفتين - : كتاب الله وعترتي أهل بيتي». والحديث متواتر عند الفريقين^(١)

فحيث تركنا كتاب الله عز وجل وعترته نبيه صلى الله عليه وآله ولم نهتم بالعلم والتعمق فيه، والعمل والمثابرة عليه، خسرتنا حضارتنا الإسلامية.

ولنمثل - توضيحاً للمطلب - بمسألة اعتقادية هي: «عصمة الأنبياء» عند الشيعة وعند العامة، ثم لننظر الفرق بينهما مصدراً وتحليلاً.

(١) معاني الأخبار، ص ٩٣. كمال الدين، ص ٢٤٧.

يكفينا في هذا المجال مراجعة كتاب «تنزيه الأنبياء» للسيد المرتضى (رحمه الله)، هذا الكتاب القيم الذي ألفه أحد من أعلام الشيعة في القرن الرابع الهجري، يعني قبل ما يقارب من ألف سنة، ألا وهو السيد المرتضى (قدس سره) فإنه كتاب صغير الحجم، لكنه كبير في المعنى والمحتوى، حيث إنه ذكر فيه ما يثبت به عصمة الأنبياء عليه السلام وطهارتهم من الدنس، ونزاهتهم عن الخطأ والاشتباه، والسهو والنسيان، والزلل والعصيان.

■ قصص الأنبياء عليه السلام وعصمتهم

هذا هو واحد مما جاء في كتبنا المعتبرة، ومصنفات علمائنا المعتمدة، بالنسبة إلى عصمة الأنبياء عليه السلام، بينما نرى القصص المشتهرة لدى بعض الناس عن بعض الأنبياء خلاف ذلك إذ فيها ما لا يليق بشأنهم فكيف بمقام عصمتهم وطهارتهم؟ وما ذلك إلا لما تسرب من بعض كتب العامة إلى أوساط الناس، وانتشر من مصادرهم فيما بينهم.

ومن المعلوم أن العامة حيث إنهم لم يأخذوا معارفهم من أئمة أهل البيت؛ ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله

وقرياه، الذين نزل القرآن وقصصه في بيوتهم «وأهل البيت أعرف بما في البيت» وقعوا في مأزق من المعارف الصحيحة، ومنأى عن المنابع المعتبرة، والمصادر الموثوقة، فاضطروا إلى التشبث بماخذ مشبوهة، والتمسك بمصادر غيرمعتبرة، دعيت فيما بعد بالإسرائيليات.

وإنما سميت بذلك لأن وهب بن منبه، وكعب الأخبار، ومن أشبههما هم مصدر أكثر القصص الواردة في كتب السنّة بالنسبة إلى قصص الأنبياء عليه السلام، ثم أبو هريرة ومجاهد والشعبي ومن إليهم هم مصدر ثان لها، مع أنا لو راجعنا تاريخ هؤلاء لرأينا أن بعضهم من النواصب المبغضين للإمام علي بن أبي طالب أمير المؤمنين عليه السلام، حتى أن المؤرخين يذكرون عن أحدهم بأنه كان شديد العداء لعلي وأهل بيته عليه السلام، علماً أن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام هو من عرفه القرآن الكريم؛ بأنه نفس رسول الله صلى الله عليه وآله حيث يقول تعالى في آية المباهلة: «أنفسنا وأنفسكم»^(١) وأن أهل بيته هم قربي الرسول الحبيب صلى الله عليه وآله الذي جعل القرآن مودتهم أجز رسالته صلى الله عليه وآله، وذلك حيث يخاطب الله

(١) آل عمران: ٦٢.

تعالى رسوله الكريم ويقول له: «قل لا أسألكم عليه
أجرأ إلا المودة في القربى»^(١).

■ التفسير لدى الفريقين

هذا هو حال بعض من أخذ منهم العامة في مجال قصص
القرآن الحكيم بالنسبة إلى الأنبياء عليه السلام،
وكذلك أيضاً حال الذين أخذ منهم العامة في مجال
تفسير القرآن العظيم وتبيين معانيه وأحكامه.

وعليه؛ فإذا كان كذلك فلماذا نرى الشيخ الطبرسي
(رحمه الله) في تفسير مجمع البيان ينقل عنهم؟

والجواب: إننا إذا راجعنا زمانه، والظروف التي كان
يعيش فيها، لرأينا أن الظروف كانت تقتضي آنذاك بأن
يأتي بكلام الإمام الصادق عليه السلام وأن يأتي إلى
جانبه بكلام أبي هريرة، وأن يأتي بكلام علي أمير
المؤمنين عليه السلام وبكلام عمر وعثمان مثلاً، حتى
يستطيع من بيان الحق، ونشر كتابه، وإبلاغ ما وصله
من روايات أهل البيت عليه السلام في التفسير، وفي
قصص القرآن، وفي أحكام الله تعالى، إلى الناس وإلى
الأجيال من بعده، ثم إنه على الناس والأجيال الذين

(١) الشورى: ٢٤.

يأتون من بعده أن يتدبروا ما جاء فيه، ليأخذوا بأحسنه،
ويتركوا ما لم يكن حسناً منه، كما قال تعالى:
«فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه»^(١).

إذاً فالشيخ الطبرسي (رحمه الله) إنما نقل ما نقل في
تفسيره مجمع البيان، من أقوال العامة، ليستطيع عبر
تلك الظروف القاسية التي كان يحدث فيها عن أهل
البيت عليه السلام وعما يروونه عن جدهم رسول الله
صلى الله عليه وآله جرماً كفارته الهتك والقتل أن
يوصل رواياتهم عليه السلام إلى الناس، موكلاً الاختيار
وحسن الانتخاب منها إليهم، وهذا يدل على أن ما جاء
في كتابه يوجد فيه الصحيح، لا أن كل ما كتبه فيه
صحيح، فإنه لم يلتزم هو به أيضاً.

هذا في مجال أصول الدين من قصص القرآن والتفسير.

■ فروع الدين ومسائله

وأما في مجال فروع الدين من الصلاة والصيام وغيرهما
فكذلك أيضاً، إذ نرى أن الشيخ الطوسي (رحمه الله)
المعروف بشيخ الطائفة في كتابه «الخلافة» يقول: هذا
رأي جعفر بن محمد عليه السلام، وهذا رأي أبي حنيفة،

(١) الزمر: ١٨- ١٩.

وهذا رأي أم سلمة، وهذا رأي عائشة، وهذا رأي الزهري، وهذا رأي الثوري، وهذا رأي الأوزاعي، وهذا رأي أحمد، وهذا رأي مالك، وهذا رأي الفضل بن شاذان، وهذا رأي الصفار، وغيرهم وغيرهم.

نعم، هذا هو حال كتاب الخلاف لشيخ الطائفة وكذلك هو حال العلامة (رحمه الله) في كتابه «تذكرة الفقهاء» وكتابه الآخر «مختلف الفقهاء» فإنه قد أتى في كل من كتابيه هذين بمختلف الآراء لكل من العامة والخاصة أيضاً لنفس الغرض.

ثم إن من دأب الشيخ الطبرسي (رحمه الله) في كتابه المذكور «مجمع البيان» - على ما عرفت - هو أن لا ينتخب النتيجة ولا يتعرض لاختيار الصحيح من الأقوال والآراء عادة، وإنما يقول: هو المروي عن الإمام الباقر والإمام الصادق عليه السلام، أو هو المروي عن الإمام علي ابن أبي طالب أمير المؤمنين عليه السلام، بينما قد دأب الشيخ الطوسي (رحمه الله) في كتابه «الخلاف» وكذلك العلامة الحلي (رحمه الله) في كتابيه «المختلف» و«التذكرة» على انتخاب الصحيح من الأقوال، وإبداء الرأي فيها، فيقولون بعد مخض الآراء: إن هذا رأينا، ودليلنا عليه كذا.

وكيف كان؛ فإننا في الحقيقة إذا اقتنعنا بالسطحيات، واكتفينا بالظواهر والقشور، ولم نتعمق في العلم، ولم نجد في العمل، ولم نتقنهما بقوة لم نحصل على دين ولا دنيا، ولا وجهنا أنفسنا ولا وجهنا غيرنا، وإنما نكون قد حشونا أذهاننا وأذهان غيرنا بأشياء غير صحيحة، وملاناها بما تتنافى مع حلال الله وحلال أنبيائه، فنكون بالنتيجة قد خسرنا ديننا، وإن خسران الدين وفقده يؤدي قطعاً وجزماً إلى خسران الدنيا والآخرة معاً، وذلك هو الخسران المبين.

■ العلم والعمل

إذن؛ فلا بد من الاهتمام بالعلم والتعمق فيه، والجد في العمل والمثابرة عليه، رغم احتياج ذلك إلى التعب والنصب، وقد كتبنا في كريلاء المقدسة نتباحث مع جماعة من الأصدقاء، وبعضهم الآن يتواجد في الكويت وغيرها، كتاب «مصايح الأنوار في حل مشكلات الأخبار» للسيد عبد الله الشبر (رحمه الله) وهو كتاب يقع في ثلاث مجلدات يبحث بتعمق ودقة الروايات التي فيها نوع من الغموض والإغلاق، ويستكشف بعض ما يمكن أن يريده المعصومون عليه السلام منها، وإني

أوصي الأصدقاء بمطالعة هذا الكتاب ومباحثته فإن ذلك مفيد جداً.

مثلاً؛ قد يسمع الإنسان خطيباً فوق المنبر وهو يقرأ أحاديث «الطينة»، فيفكر أن الطينة هي التي توجه الإنسان وتقرر مصيره النهائي دون غيرها، مع أنه إذا كانت الطينة هي التي توجه الإنسان وتقرر مصيره فقط فما هو إذن فضل المؤمن؟ وما هو ذنب المجرم؟.

نعم إن لمثل هذه الأحاديث وغيرها مما هي دعامة حضارتنا مقدمات وممهّدات، ومداخل ومخارج، ولا بد للإنسان من التعرف عليها، والتعمق والتوغل فيها، حتى يستطيع أن يعرف ما هي مداخلها وما هي مخارجها؟ وما هي مقدماتها وما هي ممهّداتها؟ وما هي النسبة بينها وبين سائر الروايات؟

دعائم الحضارة الإسلامية

■ تقسيمات الحضارة

وعليه؛ فإنّ هذه الأحاديث وغيرها، بل وكل روايات أهل البيت عليه السلام هي دعامة حضارتنا، وأساس تقدمنا وتمدننا، فإنّ الحضارة هي عبارة عن حضارتين؛ حضارة علم وحضارة عمل، وقد حظينا نحن المسلمين بكلتا الحضارتين؛ العلمية والعملية.

الحضارة العلمية:

فأما الحضارة العلمية؛ فهي عبارة عن هذه الجمهرة الهائلة من المعارف الإلهية، المودعة في القرآن الكريم، والموجودة في السنّة المباركة؛ من روايات رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمة المعصومين من أهل بيته عليه السلام مثل ما في نهج البلاغة، ونهج الفصاحة، والصحيفة السجادية، وما أشبه ذلك من كتب الحديث والدعاء.

الحضارة العملية:

وأما الحضارة العملية؛ فهي عبارة عن هذا الرصيد الضخم، الذي هو بأيدينا من السيرة العملية للنبي

الأكرم صلى الله عليه وآله وأهل بيته الطاهرين عليه السلام والتي استطاعت بقوتها وفاعليتها، وتواصلها وتداومها، وكثرتها وبركتها، أن تفتح على البشرية جمعاء أبواب حضارة جديدة عملاقة، حضارة عملية نزيهة من النواقص، بريئة من المعائب والمظالم، سليمة من الاستبداد والظغيان، مليئة بالمحبة والرحمة، مشفوعة بالأمن والإيمان، مقرونة بالسلم والسلام.

ثم واصل تقدم الحضارة العملية المباركة للنبي وآله الكرام عليه السلام هذه، علماؤنا الأعلام وفقهاؤنا العظام، إضافة إلى ما كانوا يواصلونه من التقدم الحضاري العلمي؛ من الاحتفاظ بالروايات الشريفة، والأحاديث الكريمة، وتأليفها وتهذيبها، وتعلمها وتعليمها، ومباحثتها ومدارستها، وتوضيحها وتبيينها وغير ذلك.

■ رجال الدين ومهمتهم الحضارية

ثم لا يخفى أن باستطاعة كل إنسان مؤمن وخاصة رجل الدين المتخصص، أن يواصل طريقه في تقدم الحضارتين؛ العلمية والعملية، فإن اللبنة الأصلية للحضارتين قد وضعها الإسلام، وطبقها الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وأهل بيته الطاهرين عليه السلام،

وعلى الإنسان المؤمن أن يغترف من هاتين الحضارتين؛ العلمية والعملية، ما يستطيع أن يكون به كالمهندس الخبير في فن الهندسة، والمعمار القدير في شؤون البناء، يعرف ماذا يأخذ، وفي أين يضع؟

فإنّ فقهاءنا العظام، وعلماءنا الأعلام، كثيراً ما يأخذون الرواية الواحدة، ذات الفقرات المتعددة، ويبحثونها علمياً وفقهياً، ويسبرونها بدقة وافية، ثم يخرجون منها بنتيجة علمية شرعية في الأحكام الإلزامية وغيرها فيقولون إنّ الفقرة الفلانية من الرواية لا تدل على الوجوب مثلاً، والفقرة الأخرى تدل على ذلك، وهكذا غيره مما هو داخل في إطار مهمة دور الخبرات والاختصاصات.

■ مواصلة التقدم الحضاري

نعم إنّ على من يريد مواصلة طريقه في التقدم الحضاري العلمي والعملية، أن يواصل مباحثة ومدارسة أمثال الكتب التالية: «تنزيه الأنبياء» و«مصابيح الأنوار في حل مشكلات الأخبار» و«بيانات الفيض الكاشاني» فيما جاء من الأحاديث المشكّلة في كتابه «الوافي» وفي كتابه «الصافي»، وبيانات العلامة المجلسي فيما ورد من

الأحاديث الغامضة في كتابه القيم «بحار الأنوار» وغير
البحار، فإن له فيها تعليقات جميلة، وحلول نافعة،
تكشف ما يتراءى من مشكلات الأحاديث وتوضح عن
مبهماتهما، وهكذا «معاني الأخبار» للشيخ الصدوق أعلى
الله مقامه الشريف، فإنه أيضاً الآخر الذي قام بهذه المهمة؛
مهمة توضيح الروايات وتبيينها أيضاً.

السطحية.. عدو الحضارة

■ لا للسطحية

أما إن الإنسان يرى رواية لا يفهم معناها، أو ينقل من مصدر ضعيف رواية ضعيفة، أو تاريخاً ضعيفاً، أو شيئاً شاذاً، كبعض ما ورد في كتب العامة أو غيرهم، ويظن أن ما جاء في هذا الكتاب هو الصحيح والواقع، ثم يتحدث به، أو يبني عليه. فهذا مما لا يطابق الدقة والتعمق العلمي.

هذا وقد رأيت شخصاً يخطب في مجلس وهو يتحدث للناس ويقول بكل صراحة وجرأة: إنَّ عندي إشكاليين على نبيين، يقول هذا وهو يخطب الناس على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله فإنه مع الأسف وإن كان ذلك الخطيب يجلس في هذا المقام العالي، ويتربع في هذا المجلس الرفيع. إلا أنه كان يبدو غافلاً عن معنى العصمة التي يتصف بها أنبياء الله الكرام، الذين لا يعصون الله ما أمرهم وهم بأمره يعملون، والذين لا يتصرفون من عند أنفسهم، وإنما تكون تصرفاتهم بإذن الله تعالى، وبرخصة منه عز وجل، وحسب مصالح

خاصة، وقد تكون لرفع درجاتهم، أو لتأسي الناس بهم، أو لأخذ العبرة من قصصهم، أو غير ذلك، وهم الذين لا ينطقون عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

وهذه الغفلة المشينة وأشباهاها ناجمة عادة عن السطحية، وعدم التعمق العلمي، المصحوبة بالكسل، وقد نهى الإسلام عن الكسل، وحذر منه قائلاً: «اتقوا الله ولا تملوا من الخير، ولا تكسلوا، فإن الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وآله غنيان عنكم وعن أعمالكم، وأنتم الفقراء إلى الله عز وجل، وإنما أراد الله عز وجل بلطفه سبباً يدخلكم به الجنة»^(١).

وقال عليه السلام: «إياكم والكسل، فإنه من كسل لم يؤد حق الله عز وجل»^(٢).

وقال عليه السلام: «إياك وخصلتين؛ الضجر والكسل، فإنك إن ضجرت لم تصبر على حق، وإن كسلت لم تؤد حقاً»^(٣).

(١) إرشاد القلوب، ص ١٤٥.

(٢) سفينة البحار، مادة (كسل).

(٣) الأمالي للصدوق، ص ٥٤٣، المجلس ٨١.

وقال عليه السلام: «إن كان الثواب من الله، فالكسل لماذا؟»^(١).

وقال عليه السلام: «العجز مهانة»^(٢).

وقال عليه السلام: «إياك والاتكال على المنى، فإنها بضائع النوكى»^(٣). وإلا فإن المتعمق المجد في طلب العلم والعمل، لا يقع في مثل هذه الغفلات، ولا يسف إلى مثل هذه الهفوات، وإني أظن أن ذلك الخطيب كان مستواه العلمي لا يتجاوز فهم كتاب «المعالم» ولذلك كان يقول ما يقول.

■ السطحية وبعض نماذجها

نعم إن ذلك الخطيب كان قد رقى المنبر وكان يواصل خطابه مع الناس حول ما يزعمه من إشكاليين على نبيين ويقول: إن لي إشكالاً على النبي يعقوب إسرائيل الله، وإشكالاً على النبي يوسف الصديق!

أما الإشكال على النبي يعقوب عليه السلام فهو - حسب قوله - : يا يعقوب إنك كنت تعلم أن ولدك حيّ،

(١) الأمالي للصدوق، ص٧، المجلس ٢.

(٢) الخصال، ص٥٠٥، ست عشرة خصلة من الحكم.

(٣) أعلام الدين، ص٢٨٦.

ومع علمك بحياته فما هذا البكاء الكثير الذي أدى إلى
أن تبيض عيناك من الحزن؟

ثم كان يواصل كلامه ويقول: ولا نتمكن أن نحمله إلا
على أنه قد شاخ وكبر، علماً بأنّ معنى شاخ وكبر هو؛
أن الرجل ليهذي ويهجر، يعني: قد خرف والعياذ باللّهُ.

ثم كان يواصل كلامه ويقول: وأما إشكالي على
النبي يوسف عليه السلام فهو؛ يا يوسف إنك كنت تعلم
أن أباك قد قلق عليك وآلمه فراقك، ومع علمك بذلك
فلماذا لم تكتب إليه رسالة تخبره فيها بأنك حي ترزق
في مصر، حتى لا يبكي عليك أبوك هذا البكاء المر،
مع أن المسافة بين مصر وكنعان لم تكن كثيرة؟

وهذان الإشكالان وأمثالهما لا يخطران إلا في ذهن من
لم يفقه تعاليم القرآن، ولا يجريان إلا على لسان من لم
يعرف ثقافة أهل البيت عليه السلام، ولا يفوه بها إلا من
لم يطلع على حضارة الإسلام العلمية والعملية، وكذلك
حضارة الأنبياء عليه السلام، حتى وإن عد نفسه خطيباً
يخطب الناس، أو إماماً يؤم الجماهير، كيف وقد هتف
بنا رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمة من أهل بيته
عليه السلام قائلين:

بأنّ الكمال كل الكمال التفقه في الدين.

وإنّ طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة.

وإنّ العلم ما لم يعاضده العمل ارتحل.

ورحم الله امرءاً عمل عملاً فاتمه وأتقنه.

وهذا الأخير يشمل جميع الأعمال والأفعال، والمهن والحرف، علماً بأنّ الجواب عن الشبهات ليست مهمة المنبر والخطيب فحسب بل هي مهمة المحراب والإمامة أيضاً بل وكل رجل دين، لأنّ إمام المحراب أيضاً معرض للأسئلة المهمة، ولذا على الخطيب في المنبر، والإمام في المحراب، وكذلك على الوكيل في وكالته، والمجتهد في اجتهاده، والمؤلف في تأليفه وتصنيفه، أن يلاحظ ماذا يقول؟ وماذا يكتب؟ وما يفتي؟ وكيف يجيب ويوجّه؟ حتى يتمكن الجميع وبسهولة من أن يفهم معنى هذه الرواية ومغزى تلك الرواية، وتفسير هذه الآية وتأويل تلك الآية.

■ أروع الحضارات وأشملها

نعم إنّ وراءنا حضارة رائعة، حضارة ما أضخمها وأعظمها، وأكملها وأشملها، فإن الحضارة الإسلامية

ما رأَت الدنيا مثلها، ولن ترى مثلها أبداً، ومن المعلوم؛ أن حضارة كهذه الحضارة الضخمة لا تستوعب بالتوافه والسطحية.

هذا وقد كنت أقرأ في كتاب أن جماعة من علماء الغرب الباحثين والمحققين أرادوا التحقيق والتعرف على مخّ أنشتاين وذلك بعد موته، فإن هذا الرجل المعروف بالنظرية النسبية لما مات، استوهب علماء الغرب من أهله ومن الحكومة مخه ليقدموه للتحليل، حتى يلاحظوا هل أن في مخ هذا الرجل شيء يفوق مخ الآخرين أو لا؟

فلما استلموا مخه وهو في محلول طبي، اجتمع عليه جماعة من الأطباء البارعين من مختلف البلاد العالمية، وقاموا بتحليله وتجزأته وإجراء التجارب الطبية، والفحوصات العلمية الدقيقة عليه، وبعد كل ذلك قالوا: إننا لم نجد فرقاً ملموساً بين مخه وبين مخ غيره من الناس الآخرين، سوى تفاعل عشر الخلايا الموجودة في مخه، أما غيره فإن نسبة تفاعل الخلايا فيهم قليلة وضيئلة جداً.

نعم لقد استغرق هذا الأمر عدة سنوات، وعلى أيدي أطباء عديدين من ذوي التجربة والتخصص العالي، حتى

تمكنوا من الاطلاع على ما خفي عنهم، والاكتشاف لما جهلوه، وعلى إثر هذا التعمق والجديّة، نرى أنّ الغربيين قد تقدموا رغم عدم وجود حضارة لهم إلا ما وصل إليهم من حضارة الإسلام الراقية، بينما نحن المسلمين أصحاب الحضارة وأهلها قد تأخرنا أثر السطحية والكسل، وقد خسرنا حضارتنا، وفقدنا خيرها وبركتها، فالخطيب منا غالباً يكتفي بمطالعة كتاب أو كتابين مطالعة عابرة، وإمام المحراب منا عادة لا يستفيد من تجارب وعقول الأئمة الآخرين، وهكذا وهلم جراً، وإذا لم يكن لخطيبنا وإمام محرابنا الدقة العلمية الكافية لمعرفة الصحيح من غير الصحيح، ولتمييز السليم من السقيم، فكيف بعامّة الناس وغالبية المسلمين العاديين؟

كيف تورث الحضارات؟

■ وراث الحضارة

قال تعالى: «ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات»^(١)، فقد قسمت الآية الكريمة وراث الحضارة السماوية إلى أقسام ثلاثة:

١- قسم منهم ظلّمة، قد ظلّموا أنفسهم بعدم تقديرهم ما ورثوه.

٢- وقسم منهم متوسطين في ذلك.

٣- وقسم منهم سابق بالخيرات.

ومن المعلوم عند العقل والشرع هو؛ تفوق قسم السابقين بالخيرات، وفوزهم على غيرهم، وتفوقهم لا يكون إلا نتيجة أتعابهم وجهدهم في العمل، وتدبيرهم وتعمقهم في الأمور.

نعم إننا بحاجة ملحة لتحمل الأتعاب؛ تعب السؤال، وتعب المطالعة والمدارسة، وتعب الفهم، وتعب البحث والحوار

(١) فاطر: ٣٣.

المهادف، وتعب التعمق والتحقيق العلمي، وهكذا، وإلا لم نكن ورثاً للحضارة الإسلامية العظيمة باستحقاق، وذلك لأن الحضارة لا تنال بأشياء بسيطة مصحوبة بالكسل.

■ سؤال وجواب

ثم إنه لسائل أن يسأل: لماذا تحطمت الحضارة الإسلامية؟

وفي الجواب يمكن أن يقال: إنه من سوء تصرف الحكام، وهذا مما لا شك فيه.

ولكن إذا كان في مقابل هؤلاء الحكام، شعوب واعية تعتمد الثقافة العالية والتعددية البناءة، وعلماء أقوياء، يوجهون الأمة ويرشدونها، ويصدون الحكام عن طغيانهم، ويكفّوهم عن سوء تصرفهم، لما استطاع الحكام أن يستبدوا بآرائهم وأن يفعلوا ما شاؤوا.

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «الملوك حكام على الناس، والعلماء حكام على الملوك»^(١).

(١) نهج البلاغة، الكلمات القصار، الرقم.

وهذا شيء طبيعي يوافق سنن الكون، فإن العلم هو الذي يأخذ بالزمام، ويوجه الناس حكماً ورعية نحو الخير والسلام، ولذا ترى أن تقدم الإنسان في المجال الصناعي وغيره، كله خاضع للعلم، وخانع بأيدي العلماء.

كما وترى الحكام ومن دار في فلکهم مؤتمرين بأوامر العلماء ومنقادين لهم، فالعلماء هم قمة المجتمع، رغم كون القوة العسكرية بأيدي رجال الحكم، ورغم كون القوة الاقتصادية بأيدي رجال المصارف والبنوك مثلاً، وذلك لأن العلم أقوى نفوذاً من نفوذ الصاروخ والذرة، وأمضى حداً من حد الاقتصاد والمال.

■ الحضارة ووراثها الشرعيون

هذا هو دور العلم والعلماء في المجتمعات المتقدمة، وبعض مكانتهما أيضاً في الإسلام العظيم، فقد عد الإسلام العلماء المتقين ورثة الأنبياء عليه السلام، فهم على ذلك الوراث الشرعيون لحضارة الإسلام، وهم المتعمقون في العلم، والمجدون في العمل، والعارفون بطريقة تعميم الحضارة الإسلامية بين الناس، ونشرها في كل العالم، وإيصالها إلى المتعطشين إليها، والمحرومين منها.

نعم لا تنتشر الحضارة الإسلامية المباركة ولا تسود إلا بمقدمات وأسباب، ومن أهمها: تشكيل شورى الفقهاء المراجع كما قال تعالى: «وأمرهم شورى بينهم»^(١)، فإنه الطريق الأمثل في زمن غياب المعصومين عليه السلام لإدارة أمور العباد والبلاد.

وكيف كان؛ فإنّ الدنيا دار أسباب ومسببات، ومن عمل ظفر، ومن سار على الدرب وصل، وكما أن التجارة سبب للوصول إلى الدنيا، والزهادة سبب للفوز بالآخرة، فكذلك تكون الفقاهاة سبباً للظفر بالدنيا والآخرة معاً، ولا تكون الفقاهاة إلا بالتدبر والتعمق في العلم، والجدّ والمثابرة في العمل.

■ الأسلوب الأمثل في نشر الحضارة الإسلامية

ثم إنّ من أهم طرق نشر الحضارة الإسلامية المباركة في الأوساط الاجتماعية، وعلى المستوى العالمي، هو فتح مجال عام للحوار العلمي الهادف، والنقاش المنطقي غير المنحاز وغير المتعصب.

(١) الشورى: ٣٩.

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «المؤمن هو الكيسّ الفطن، بشره في وجهه، وحزنه في قلبه، أوسع شيء صدراً، وأذل شيء نفساً»^(١).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من كان في قلبه حبة من خردل من عصبية، بعثه الله تعالى يوم القيامة مع أعراب الجاهلية»^(٢).

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «من تعصب أو تعصب له: فقد خلع ربة الإسلام من عنقه وحشره الله يوم القيامة مع أعراب الجاهلية»^(٣).

وقال عليه السلام أيضاً: «من تعصب، عصبه الله بعصابة من نار»^(٤).

وقال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «فإن كان لا بد من العصبية، فليكن تعصبكم لمكارم الخصال، ومحامد الأفعال، ومحاسن الأمور ...»^(٥).

(١) راجع أعلام الدين، ص ١١٥، باب صفة المؤمن.

(٢) سفينة البحار، مادة (عصب).

(٣) أعلام الدين، ص ٤٠١، باب ما جاء من عقاب الأعمال.

(٤) جامع الأخبار، ص ١٦٢، الفصل ٢٧.

(٥) نهج البلاغة، الخطبة ١٩٢، الرقم ٧٦.

وليكن ذلك بإعداد قاعات وصلات، ومراكز وقتوات، فيها رجال فكر، واسعو الصدر، طيبو النفس، يحملون بين جوانهم تعليمات القرآن الحكيم، وآداب الإسلام العظيم، وأخلاق الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وأهل بيته الطاهرين عليه السلام، التي هي بمجموعها تشكل إطار الحضارة الإسلامية، ثم يعرضونها على كل العالم، ويحاورون فيها أصحاب الأفكار والآراء وحمة الأديان والمذاهب الأخرى، فإن الناس إذا عرفوا عظيم حضارة الإسلام، واطلعوا على دقيق حكمه ومعارفه، وصحته وصوابه، لأسرعوا إليه ولتھاافتوا عليه فإنّ طريق الحوار الحر غير المتعصب، هو الذي دعا إليه الإسلام، وحرص عليه من يوم طلوع فجره، وبزوغ شمسہ.

وقد طبق هذه الدعوة (دعوة الحوار الحر) رسول الإسلام الحبيب صلى الله عليه وآله وأهل بيته الطاهرين عليه السلام في كل المجالات، وعلى كافة المستويات، ومع رجال الفكر والعقيدة، وأصحاب الأديان والمذاهب، وقد أشار إلى بعضها القرآن الحكيم، وتعرضت لها الروايات الشريفة، وسجلها بين طياته تاريخ الإسلام

المنير، مما بقيت مشرقة إلى يومنا هذا، وستبقى إلى أبد الدهر.

نسأل الله سبحانه أن يوفقنا جميعاً لمعرفة الطريق إلى الحضارة الإسلامية المباركة والعمل لإرجاعها وإعادتها إلى الحياة إنه سميع الدعاء.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

الكويت

محمد بن المهدي الحسيني الشيرازي

المحتويات

| | | |
|----|-------|---|
| ٤ | | المقدمة |
| ٥ | | ■ من أسباب التخلف |
| ٥ | | عدم الاهتمام بالعلم |
| ٦ | | قصص الأنبياء عليهم السلام وعصمتهم |
| ٨ | | التفسير لدى الفريقين |
| ٩ | | فروع الدين ومسائله |
| ١١ | | العلم والعمل |
| ١٣ | | ■ دعائم الحضارة الإسلامية |
| ١٣ | | تقسيمات الحضارة |
| ١٤ | | رجال الدين ومهمتهم الحضارية |
| ١٥ | | مواصلة التقدم الحضاري |
| ١٧ | | ■ السطحية.. عدو الحضارة |
| ١٧ | | لا للسطحية |
| ١٩ | | السطحية وبعض نماذجها |
| ٢١ | | أروع الحضارات وأشملها |
| ٢٤ | | ■ كيف تورث الحضارات؟ |
| ٢٤ | | وراث الحضارة |
| ٢٥ | | سؤال وجواب |
| ٢٦ | | الحضارة وورثتها الشرعيون |
| ٢٧ | | الأسلوب الأمثل في نشر الحضارة الإسلامية |

